المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها في سوريا الأطراف والمواقف

حسين ألب تكين*

ملخص: يتناول هذا التحليل مناقشة التطور التاريخي للنقاش حول المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها في سوريا، ونطاقها المحتمل، والفروق بين المفاهيم المشابهة، مثل المنطقة الآمنة، والمنطقة العازلة، ومنطقة حظر الطيران. وستُقيَّم مواقف الجهات الدولية بالترتيب، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، ثم الأطراف الإقليمية، مثل إيران و(إسرائيل) والمملكة العربية السعودية وتركيا- حول موضوع المنطقة الآمنة المخطط إنشاؤها. وحين تُقيَّم مواقف وتصرفات الأطراف المختلفة في تحليلنا، يبرز دور تركيا الأساسيّ في إنشاء المنطقة الآمنة ومراقبتها، بوصف ذلك السيناريو الأكثر احتمالاً في متناول اليد، وسيأتي تلخيص ذلك في القسم الأخير.

* باحث، سيتا

Planned Safe Zone in Syria: Parties and Attitudes

HÜSEYIN ALPTEKİN*

ABSTRACT This analysis discusses the historical evolution of the debate on the planned safe zone in Syria its potential scope and the differences between similar concepts such as the safe zone the buffer zone and the no-fly zone. The positions of international actors such as the United States and Russia and regional parties such as Iran Israel Saudi Arabia and Turkey - will be assessed in order on the subject of the planned safe zone. When assessing the positions and actions of the various parties in our analysis Turkey's key role in establishing and monitoring the safe area emerges as the most likely scenario at hand summarized in the final section.

* Researcher, Seta

رؤية تركية
2019 - (8/4)
141 - 121

المنطقة الآمنة: التعريف والنماذج

في تغريدة له بتاريخ 19 كانون الأول عام 2018، أعلن الرئيس الأمريكي ترامب عن عزم الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من سوريا، وفي مشاركة[1] أخرى له في تاريخ 13 كانون الثاني (14 كانون الثاني بالتوقيت المحلي في تركيا) بيّن أنها ستقيم منطقة آمنة في سوريا عقب الانسحاب منها، يبلغ عمقها 20 ميلًا (32 كم). ومنذ تاريخ الإعلان وحتى اليوم لم يرد أي توضيح عن الجدول الزمني للانسحاب، ولا عن الأطراف التي ستتبنى مهمّة الأمن في المنطقة الآمنة. ورغم أن تصريحات ترامب أشعلت النقاش حول المنطقة الآمنة التي لم تكن مندرجة في جدول الأعمال منذ كانون الأول، فإن مسألة المنطقة الآمنة في سوريا قد أُثيرَت من قبل أطراف مختلفة قبل هذه البيانات.

المنطقة الآمنة: هي المنطقة التي تُنشَأ من أجل حماية سكان معينين، وتجري المحافظة على أمنها بفاعلية من قبل القوات العسكرية الحامية والرادعة. وهذه المناطق في الأساس تُنشَأ لحماية المدنيين المهددين بالخطر والمشردين من ديارهم بسبب الحرب. وقد يشمل نطاق المناطق الآمنة قصبات ومدنًا كما حدث في البوسنة سابقًا، أو مستوطنات أكبر كما حدث في العراق ورواندا، ولا يشترط في إنشائها موافقة جميع الأطراف المتناحرة فيما بينها (ماكوين، 2005، ص1).

وعندما تُذكَر المناطق الآمنة يخطر بالبال نماذج البوسنة والعراق ورواندا. وليس من قبيل الصدفة إنشاء هذه المناطق الثلاث في تسعينيات القرن الماضي. فعلى الرغم من أن التعريفات القانونية للمناطق الآمنة تستند إلى المادة 23 من اتفاقية جنيف عام 1949، إلا أن التطبيق الشامل لهذه المناطق أصبح ممكنًا بفضل الفرص التي حققتها السياسة الواقعية بعد الحرب الباردة. إذ تسبّبت حالة الغموض الناجمة عن عملية الانتقال عالميًّا إلى عصر جديد عقب انتهاء سنوات الحرب الباردة- في خلق عدد كبير من الصراعات، وقام النظام الجديد الذي جرى السعي لإنشائه بريادة الولايات المتحدة الأمريكية بتطوير صيغة المنطقة الآمنة الشاملة من أجل تجميد هذه الصراعات وحلّها.

يجري التعبير عن المنطقة الآمنة في كثير من الأحيان بتعبيرات مختلفة، مثل المنطقة الخالية من العسكر (منطقة منزوعة السلاح، DMZ)، منطقة حظر الطيران (no-fly zone)، المنطقة العازلة (buffer zone)، وهي تشير إلى مفاهيم تتضمن إلى جانب المنطقة الآمنة أوضاعًا أخرى أيضًا؛ لذا يمكن اعتبار المنطقة الآمنة نوعًا خاصًا من المنطقة العازلة، إذ يُطلَق اسم المنطقة الآمنة على المناطق العازلة التي يتجاوز أمرها عن وضع حد للاقتتال إلى توفير الحماية الإنسانية (بيهنر وميباور، 2016، ص5). أما ما يتعلق بكيفية تحقيق الأمن في هذه المنطقة؛ فهناك طرق مختلفة؛ بدءًا من إخلائها من العساكر إلى نشر القوات العسكرية الدولية، وقد أظهرت نماذج المناطق الآمنة المختلفة مثل البوسنة ورواندا أن الأمن لا يمكن تحقيقه فيها ما لم تكن محمية بقوات قادرة على الحماية والردع.

وحين تُذكَر المنطقة العازلة فإن النماذج الأولى التي تخطر بالبال نموذج الخط الأخضر في نيقوسيا الذي يفصل بين جمهورية شمال قبرص التركية والقسم اليوناني من جمهورية قبرص، ونموذج الخط الموازي لخط العرض 38 بين الكوريتين الشمالية والجنوبية، والمنطقة المخلاة من العسكر التي أُنشِئَت في فيتنام بعد حرب السنوات (1946–1954) بين القوات الفرنسية والحكومة الموالية لها من طرف، والقوى الشيوعية الفيتنامية من طرف آخر. وفيما يأتي الشروط الأربعة التي يؤمل تحقيقها في المناطق العازلة المنزوعة السلاح (ماكوين، 2005، ص 5):

1. إخراج العناصر المحاربة والأسلحة والمعدّات العسكرية المتنقلة إلى خارج المنطقة.
2. منع استخدام المعدّات والقواعد العسكرية الثابتة لغايات عدائية.
3. منع الممارسات العدائية بين السلطات المرجعية والسكان المحليين.
4. إيقاف النشاطات العسكرية بجميع أنواعها.

والمناطق المنزوعة السلاح المقامة بين طرفين متقاتلين أو يحملان مخاطر حقيقية من احتمال نشوب قتال بينهما– تؤدّي في الواقع دور المنطقة العازلة، مع فارق بينهما أن المنطقة العازلة لا يُشتَرَط فيها إخلاء العساكر. فالمنطقة العازلة هي منطقة الخطّ الواقع بين طرفين متنازعين أو متحاربين يجري الاتفاق على جعلها خارج النزاع المباشر (وزارة الدفاع الأمريكية، 2001، ص58). ورغم الاختلاف بين المنطقة المنزوعة السلاح والمنطقة العازلة من حيث المفهوم، فإنهما متقاربتان من الناحية العملية، إذ يمكن أن توجد في المنطقة المنزوعة السلاح عناصر

عسكرية من القوى الدولية، أو من طرف دولة ثالثة. ولهذا السبب من الخطأ التفكير في خلو المناطق المنزوعة السلاح من أي عنصر عسكري بشكل قاطع. في كثير من الأحيان، يمكن استعمال مفهومَي المنطقة المنزوعة السلاح والمنطقة العازلة بالتبادل فيما بينهما، كما هو الحال في شبه الجزيرة الكورية وجزيرة قبرص. والمنطقة المنزوعة المزمع إنشاؤها في سوريا وفقًا للسيناريوهات المقترحة لن تكون منطقة منزوعة السلاح؛ لأنّ تجريد المنطقة التي شهدت تجذُّرًا كبيرًا للإرهاب من السلاح يعني ترك المنطقة للمنظمات الإرهابية.

وفي هذا السياق، توجد علاقة مشتركة بين مفاهيم المنطقة الآمنة والمنطقة العازلة ومنطقة حظر الطيران باعتبارها دلالات متقاربة، إذ يمكن تطبيق المناطق العازلة بإعلانها منطقةً لحظر الطيران، وقد نُفِّذ هذا التطبيق في كل من العراق والبوسنة (بينارد، 2004) .[2] ولم تكن هناك –بالمقابل –فكرة إنشاء منطقة حظر جوي في المنطقة الآمنة في سوريا، بل برزت فيها فكرة مكافحة الإرهاب من قبل طيران الدول (تركيا وحدها، أو مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية) التي ستعمل في المجال الجوي للمنطقة بشكل فعّال.

المنطقة الآمنة: هي المنطقة التي تُنشأ من أجل حماية سكان معينين، وتجري المحافظة على أمنها بفاعلية من قبل القوات العسكرية الحامية والرادعة. وهذه المناطق في الأساس تُنشَأ لحماية المدنيين المهددين بالخطر والمشردين من ديارهم بسبب الحرب

ويمكن إيجاز القول بأنه لا يمكن استخدام مفهومي المنطقة المنزوعة السلاح ومنطقة حظر الطيران من أجل المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها في سوريا. ستوفِّر أمنَ هذه المنطقة قوات عسكرية فعّالة بعناصرها القتالية البرية والجوية. ويبدو حتى الآن أنه ستُنشَأ هذه المنطقة بعمق 32 كم في الأراضي السورية في الشريط الموازي للحدود التركية الواقعة شرقي الفرات، وسيجري حمايتها بشكل فعّال.

التطور التاريخي للنقاش حول المنطقة الآمنة في سوريا:

أُثِيرَ النقاش حول المنطقة الآمنة في سوريا بين الحين والآخر منذ الأيام الأولى للحرب،[3] ففي تاريخ 13 حزيران 2013 أعلن بين رودس نائب مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي أوباما في بيان أسنده إلى الاستخبارات الأمريكية أن قوات الأسد استخدمت الأسلحة الكيميائية مرات عدة في سوريا.[4] عقب البيان مباشرة حملت الصحافة العالمية أخبارًا منسوبة إلى دبلوماسيين أمريكيين بدون ذكر الأسماء تفيد بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستقيم منطقة حظر الطيران في الأراضي السورية المحاذية للحدود الأردنية.[5] وفي الأشهر اللاحقة طالب مختلف مجموعات المعارضة المسلحة الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء منطقة حظر الطيران في مناطق شمال سوريا أيضًا، لكنها لم تتخذ أيّ خطوة من أجل إنشاء هذه المنطقة.[6]

وعبّرت تركيا بين الحين والآخر عن حاجتها لإنشاء منطقة آمنة مستخدمة مفهومي المنطقة العازلة والمنطقة الآمنة. ففي عام 2012 أصدرت تركيا بيانًا حول قلقها من إمكانية زيادة أعداد العابرين إلى تركيا، وإمكانية تسرّب عناصر حزب العمال الكردستاني بين العابرين،

وأعربت عن إمكانية "تقييم موضوع المنطقة العازلة وفقًا للتطورات أيضًا". وتمّت الإشارة إلى وجود عمل يمكن تنفيذه مع المجتمع الدولي حول مشروع المنطقة العازلة التي يمكن إنشاؤها في مواجهة المخاطر المتوقعة.[7] وفي سياق المناقشات الدائرة حول المنطقة العازلة عام 2012 أدلى رئيس الوزراء أردوغان ببيان ذكر فيه أن منطقة حظر الطيران والمنطقة العازلة متممتان لبعضهما، وأن الأمر يحتاج إلى دعم دولي.

"إن المنطقة العازلة ومنطقة حظر الطيران متممتان لبعضهما؛ لأنكم لا تستطيعون الإعلان عن المنطقة العازلة ما لم تعلنوا منطقة حظر الطيران. فهذا الأمر خطيرٌ للغاية، يضعنا أمام سربرنيتسا لا سمح الله. ولن تستطيعوا بعد ذلك تقديم حساب عشرات الآلاف من الناس للتاريخ. يجب تحقيقها [منطقة حظر الطيران] بداية، ثم الإقدام على الخطوة التالية"[8]

أثارت تركيا الموضوع مرة أخرى عام 2014 تحت عنوان المنطقة الآمنة، واقترحت إنشاء منطقة عازلة موازية للشريط الحدودي لتركيا تمتد من البحر المتوسط إلى العراق. وقد أوضح رئيس الجمهورية أردوغان هذا الأمر لنائب الرئيس الأمريكي جو بايدن خلال زيارته إلى الولايات المتحدة عام 2014 لكنه لم يتوصل معه إلى نتيجة .[9] وقد صدرت بيانات حول نطاق المنطقة المذكورة تشير إلى أنها ستشمل إدلب وعفرين وجرابلس وعين العرب (كوباني) وتل أبيض وبعض المناطق السكنية المنتشرة شمال الحسكة. وقد استُخدِم تعبير المنطقة الإنسانية الآمنة بدل المنطقة العازلة عسكريًّا من أجل هذه المنطقة المقترحة بناءً على نموذج المناطق الآمنة التي أُنشِئت في شمال العراق ضد نظام صدام.[10] وبعد البيانات الصادرة من حكومة حزب العدالة والتنمية، أدلى رئيس الجمهورية أردوغان بتصريح إلى وسائل الإعلام أشار فيه إلى أن حدود المنطقة الآمنة ستوازي الخط 36. [11]

وقد أُثِيرَ موضوع المنطقة الآمنة طوال عام 2015 أيضًا، فقد أوردت الصحافة الأمريكية تفاصيل مشروعات المنطقة الآمنة في أخبارها المنسوبة إلى المسؤولين الأمريكيين والأتراك. [12] لكن المنطقة الآمنة التي أُثِيرَت مرارًا في الفترة الممتدة بين عامي 2012 و2015، والمعروفة باعتبارها موقفًا من الرئيس الأمريكي أوباما في مواجهة الحرب السورية، والتي طالبت بها تركيا مرارًا، وأعلنت الاستعداد لتقديم الدعم لها... هذه المنطقة لم تجد طريقها إلى التنفيذ مع الأسف، وفي أعقاب المحاولات السرية الكثيرة التي قامت بها الإدارة الأمريكية في فترة رئاسة أوباما لتدريب وتجهيز المعارضين المحليين؛ فضلت النشاط الفعلي في ساحة الحرب السورية من خلال حزب الاتحاد الديمقراطي PYD (الإرهابي) الذي هو امتداد حزب العمال الكردستاني PKK (الإرهابي) في سوريا. وفقًا لهذا القرار، سيتلقّى تنظيم PYD التدريبات من الولايات المتحدة الأمريكية، والإمداد بالسلاح والدعم بقواتها الجوية في محاربة داعش في شرق سوريا، وسيقيم التنظيم في المناطق التي سيحررها من داعش منطقةً للحكم الذاتي، وستقيم الولايات المتحدة الأمريكية قواعدها العسكرية في هذه المناطق.

لم تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية خطوات حول المنطقة الآمنة، بل أقدمت على تطوير علاقاتها مع المنظمات الإرهابية مثل PYD التي تشكل تهديدًا لتركيا، ونتيجة لذلك شاركت تركيا روسيا وإيران في عملية أستانة في عام 2017، وأسهمت في تشكيل مناطق خفض التوتر في أماكن وجود المعارضة السورية، ثم نفّذت بالتنسيق مع هذه البلدان عمليات عسكرية في شمال غرب سوريا، وأنشأت بمبادرة منها مناطق آمنة في المناطق التي حرّرتها من المنظمات الإرهابية.[13] وفي ظل استمرار قوات PYD في سيطرتها على مناطق شرق الفرات، قامت تركيا بدورها بإجراء اتصالات حول هذا الموضوع مع روسيا والولايات المتحدة على حد سواء، وعادت فكرة المنطقة الآمنة[14] في سوريا إلى جدول الأعمال بعد التغريدة التي أطلقها الرئيس الأمريكي ترامب في كانون الثاني 2018 بأن القوات الأمريكية ستنسحب من سوريا، وستُقَام منطقة آمنة بعمق 20 ميلًا (32 كم).

وجهة النظر الأمريكية حول المنطقة الآمنة:

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية لفترة طويلة من الزمن تملك وجهة نظر ثابتةً وشاملةً حول نطاق واسع من السياسات، بدءًا من الداخلية إلى الخارجية، وإلى جانب ذلك بقيت مناورة ترامب محدودة في السياسة الداخلية، ووجدت مساحة أكبر لها في السياسة الخارجية. ويعود السبب في هذا الوضع إلى مجال المناورة الكبير الذي يمنحه نظام الحكومة الأمريكية للرئيس في السياسة الخارجية (Weyland & Madrid، 2019، ص4)، ونتيجة لهذا الوضع، تمكن ترامب من اتخاذ قرار الانسحاب من دون الشعور بالحاجة إلى موافقة قائد القيادة المركزية للقوات الأمريكية (سنتكوم) جوزيف فوتل والممثل الخاصّ للتحالف الدولي لمحاربة داعش بريت ماكغورك ووزير الدفاع جيمس ماتيس، بل على خلاف رأيهم، وهذا ما دفع ماتيس إلى الاستقالة من منصبه في 20 كانون الأول بعد الإعلان عن قرار الانسحاب، واستقالة ماكغورك بعده بيومين في 22 كانون الأول، وأدلى قائد سنتكوم فوتل ببيان حافل بالعتاب حول قرار الانسحاب الذي اتخذه ترامب بدون استشارته، مشيرًا إلى أن سنتكوم ستبدي مقاومتها لعملية الانسحاب.[15] وعلى الرغم من كون فوتل من بين الشخصيات التي أوصت بإنشاء المنطقة الآمنة[16] في بدايات 2017 غير أن فكرته عن هذه المنطقة في تلك الأيام تختلف عن السيناريو الحالي، وهذا الخلاف هو الذي يكمن وراء انتقاداته. بعد إصرار ترامب على موقفه من الانسحاب أبدى فوتل تحفظه على فكرة المنطقة الآمنة تحت مراقبة تركيا، وأشار إلى أن الشريك الرئيس في الأمر ينبغي أن تكون قوات سوريا الديمقراطية (SDG / قسد) التي يشكل حزب الاتحاد الديمقراطي PYD عنصرها الأساسي، وأوصى باستمرار الدعم القائم لقسد بالأسلحة حتى بعد عملية الانسحاب.[17]

بصرف النظر عن هذه الأصوات المتناقضة في فريق ترامب، يمكن القول إن جيمس جيفري الذي عينه ترامب ممثلًا خاصًّا لسوريا كان له تأثير في قرار الرئيس ترامب في مسألتي الانسحاب والمناطق الآمنة. وجيفري يُعدّ أحد الدبلوماسيين القدماء، وقد تطرق في العديد من تحليلاته

قبل تعيينه من قبل ترامب في هذا المنصب إلى فكرة إنشاء المنطقة الآمنة. ففي المقالة التي كتبها جيفري بالاشتراك مع نيكولاس بيرنس بتاريخ 4 شباط 2016 ذكر أن المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها هي الأسلوب الأكثر فعالية في سياق حماية المدنيين السوريين، وأنها ستحدّ من تدفق اللاجئين إلى الغرب، وتوفر التعاون بشكل وثيق مع تركيا "حليفتنا الرئيسة" في المنطقة .[18]

لم تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية خطوات حول المنطقة الآمنة بل أقدمت على تطوير علاقاتها مع المنظمات الإرهابية مثل PYD التي تشكل تهديدًا لتركيا ونتيجة لذلك شاركت تركيا روسيا وإيران في عملية أستانة في عام 2017

كما كتب جيفري في نفس الشهر حول وجود الأساس القانوني من أجل إنشاء المنطقة الآمنة .[19] وتطرق مرة ثالثة إلى موضوع المنطقة الآمنة في المقالة [20] التي كتبها في شهر شباط 2016، فقد ذكر جيفري في هذه المقالة أن أمن المنطقة الآمنة يمكن توفيرها بواسطة خمسة عشر ألفًا من عناصر القوات البرية، ويمكن تشكيل هذه القوة بعدة آلاف عنصر من القوات الأمريكية، وبعدد مماثل أو أكثر من القوات التركية. كما ذكر جيفري أيضًا أن المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها يمكن دعمها بواسطة المدافع البعيدة المدى وأنظمة صواريخ أرض جو المتمركزة في تركيا.[21] وهكذا يبدو أن المنطقة الآمنة التي ذكرها الممثل الأمريكي الخاص إلى سوريا الحالي جيفيري مرارًا وتصور إنشاءها تحت الحماية الأمريكية التركية بشكل عام- أصبحت مقبولة من قبل ترامب، وأصبح هذا القبول ممكنًا بعد إرفاقها بالشرح المهمّ.

إنّ ترامب قرر على الأقل في بياناته العامة حتى الآن سحب القوات الأمريكية الموجودة في سوريا، وعرض أمن هذه المنطقة بالكامل للمزايدة.[22] يوفر مشروعُ منطقة آمنة تُتْرَكُ إدارتها إلى تركيا أو إلى شراكة تُنشَأ مع تركيا بشكل ما- إمكانية إصلاح العلاقات المتوترة بين تركيا والولايات المتحدة في السنوات الأخيرة على العموم. ومن شأن هذا التغيير المتوقع في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حول سوريا، والتي دفعت بتركيا إلى البحث عن الحلول في إطار عملية أستانة بالاشتراك مع روسيا وإيران- أن يجذب تركيا إلى خط الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى. "فقد حان الوقت لإنهاء دور أستانة" بالنسبة للولايات المتحدة بحسب تعبير جيمس جيفري. [23]

إن إبقاء الولايات المتحدة الأمريكية قواتها العسكرية في سوريا ليست من أولوياتها، بل تفضّل بدلًا من ذلك إقامة تحصيناتها في بحر الصين الجنوبي ومحيطه بغية الالتفاف حول الصين ومنافستها على المستوى الدولي، وتنوي الحدّ من تمدد إيران وإيقافه من خلال الحفاظ على أمن إسرائيل ومصادر البترول والخليج الإيراني على المستوى الإقليمي؛ لكن الشراكة التي طورتها الولايات المتحدة الأمريكية مع PYD في سوريا ليست شراكة موفّقة ضد إيران. فالهدف الرئيس لتنظيم PYD منذ تأسيسه عام 2003 من قبل PKK هو تركيا.[24] ويُعَدّ PYD تنظيمًا إرهابيًّا يمكنه أن يقيم تحالفًا مع كل مع إيران والنظام السوري ضد تركيا. كما أن PYD لا يملك القوة العسكرية الكافية لمواجهة إيران وإيقافها. والعلاقة التي أنشأتها الولايات المتحدة

الأمريكية مع PYD في السـاحة محكوم عليها بالإخفاق في مواجهة التمدّد الإيراني. وقد ظهر هذا الأمر جليًّا، وإن كان متأخرًا، بعد قرار الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من سوريا وإنشـاء المنطقة الآمنة فيها. وفي هذا الوضع سـتعمل الولايات المتحدة الأمريكية على محاصرة إيـران بجارتهـا العراق، والحيلولة دون تحويل الدولة العراقية إلى نظام دُمية بين يدي إيران، إلى جانب فرض العقوبات على إيران لجعلها غير قادرة على تحمّل العبء المالي لعملياتها الخارجية. وفقًا لوجهة النظر هذه، فإن التحاليل[25] التي تحاكي انسـحاب ترامب من سـوريا بانسـحاب أوباما مـن العـراق في عـام 2011 وتزعم قيـام إيران بملء الفـراغ الناتج عن ذلـك لن تبدو واقعيـةً. وهكذا تظهـر المنطقة الآمنة فرصة كبيرة أمام الولايـات المتحدة الأمريكية، إذ تمنحها الفرصة لاستعادة تركيا قبل فوات الأوان بعد أن دفعتها السياسات الأمريكية الخاطئة في شأن الأزمة السـورية حتى اليوم إلى تطوير التعاون مع روسـيا وإيران. وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة من الدوائر العامة الغربية إلى قرار ترامب حول الانسـحاب من سوريا وإنشاء المنطقة الآمنة؛ فإن هذه الخطة تبدو سياسة عقلانية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

وجهة النظر الروسية حول المنطقة الآمنة:

تحافـظ روسـيا على نفوذها في سـوريا منذ الحـرب البـاردة، ولا توجد دولـة عربية أخرى ترتبـط مع روسـيا بهذا القدر مـن العلاقات المتناغمـة والطويلة الأمد، إضافـة إلى أن القاعدة الموجودة في طرطوس السـورية منذ عام 1971 هي القاعدة العسـكرية الروسـية الوحيدة في البحر المتوسـط، وبفضل هذه القاعدة تقوم روسـيا بصيانة وإصلاح سـفنها في البحر المتوسط بدون الحاجة للانتقال إلى البحر الأسود، وتتمكن من إبراز نفوذها الجيوسياسي في شرق البحر المتوسـط؛ لهذه الأسـباب، لن تتخلى روسيا عن نفوذها في سـوريا، وستقف في وجه الخطوات التـي من شـأنها إضعاف النظام السـوري. وتعارض روسـيا منـذ البداية إنشـاء المنطقة الآمنة المفتوحة للنفوذ الأمريكي في الأراضي السـورية المحاذية للحدود التركية شرقي الفرات، فهي ترغـب أن تكـون الدولـة الوحيـدة التي لها نفـوذ على سـوريا. ففي عـام 2013 حيث لم تكن روسـيا بَعْدُ غارقةً بالفعل في الحرب السـورية أعلنت روسـيا بأن تطبيـق منطقة حظر الطيران التي عزمت الولايات المتحدة الأمريكية على إنشـائها في سـوريا غير قانونية، وعارضت بشدة مثل هذه الدعوات.[26]

ويكمن نفوذ روسيا الأكثر إيجابية في الحرب السورية في تركها أيام الخصام مع تركيا خلف ظهرها، والسعي إلى إيجاد أرضية العمل المشترك معها. ورغم أن روسيا التي أعلنت مشروعية نظـرة تركيا إلى حزب الاتحاد الديمقراطي بوصفه مصدرًا للإرهاب لم تعارض من حيث المبدأ فكرة المنطقة الآمنة نتيجة هذا التقارب؛ إذ اقترحت فكرة التعاون بين أنقرة ودمشـق في شـأن إنشـاء هـذه المنطقة واسـتمراريتها. ففي البيان الصـادر في تاريخ 14 شـباط 2019 قبيل قمة سـوتشي بين روسـيا وإيران وتركيا ذكر المتحدث باسـم الخارجية الروسية أن المنطقة الآمنة لا يمكن إنشاؤها بدون موافقة الحكومة السورية، وأكد أن ذلك هو الموقف الأساسي لروسيا.[27]

وفي هـذه القمـة الثلاثيـة المنعقدة بتاريخ 15 شـباط 2019 في مقاطعة سـوتشي الروسـية أكّد رئيس الدولة الروسية بوتين ضرورة العمل المشترك بين دولتي سوريا وتركيا في إطار مكافحة الإرهاب منوّهًا إلى اتفاقية أضنة المبرمة بين البلدين في عام 1998.[28]

إن أولوية المنطقة الآمنة بالنسـبة لتركيا هي إبعاد PYD عن حدودها، وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وضع حدّ لتمدد إيران، ولن تعارض روسيا إنشاء المنطقة الآمنة ما لم تُتجاوَز خطوطها الحمراء، وستكون حريصة على عدم استفزاز الولايات المتحدة في عملية الانسحاب؛ فالولايات المتحدة إذا انتهت من هذه العملية الانتقالية بإنشاء المنطقة الآمنة، وانسحبت قواتها كاملة فإنّه سيجري العمل في المرحلة التالية على إعادة تطبيع العلاقات بين تركيا والحكومة في دمشق، والتخطيط لنقل سيطرة المنطقة إلى دمشق تدريجيًّا.

تركز روسيا حاليًّا على عملياتها في إدلب وضواحيها التي تسيطر عليها مجموعات المعارضة وهيئة تحرير الشـام باعتبارها أولوية لها، وسـتطلب من تركيا تنازلات في إدلب لمصلحة النظام مقابل المكاسـب التي سـتحققها تركيا في إطار المنطقة الآمنة في شرق الفرات، والمكسب الذي ستحقّقه روسيا من المنطقة الآمنة من ثَمّ هو وضع حدّ لتحرّك إيران في سوريا من دون تدخل مـن روسـيا، وربما تكون بدايـة الخطوات لإخراجها من سـوريا، فإن فقدت إيـران نفوذها في سـوريا بهذه الصورة، فستضطر إلى أن تترك لها مهمّة رعاية نظام الأسد بشكل كامل، وسيبقى الدور الإيراني في مستقبل سوريا ضعيفًا، ويزداد الدور الروسي، بل يمكن أن تتوقف العمليات الإسرائيلية الجوية في سوريا حيث كانت تسوّغها بالتوسع الإيراني. وبذلك يوفر هذا السيناريو لروسيا الشروط اللازمة لإنشاء سوريا مستقرة تحت سيطرتها.

وجهة نظر الدول الأوربية حول المنطقة الآمنة:

لم يكن للدول الأوربية دور فعال في حل الأزمة السورية منذ البداية، فقد نظرت إلى الأزمة السورية من خلال بعدها المنعكس عليها باعتبارها مشكلة تتمركز حول الهجرة إلى أوربا. أضف إلى ذلك أن فرنسا وبريطانيا هما الدولتان اللتان لديهما قوات في سوريا، وإن كانت بمستوى رمزي، ضمن نطاق تحالف الحرب ضد داعش. لم تُدلِ فرنسا بأيّ بيانات حول وجودها العسكري في سوريا، لكن أعداد قواتها تتراوح بين 75 عنصرًا و200 عنصر من القوات الخاصة وفقًا للمصادر المختلفة،[29] لكنها تسهم في التحالف ضد داعش في سوريا بواسطة الطائرات التي تقلع من القواعد الجوية للدول المشاركة في الحلف، أو من قاعدتها الخاصة بها في جزيرة قبرص، إلى جانب وجود 300 جندي بريطاني في سوريا.[30]

لم تتحمل الدول الأوربية حتى الآن أيّ مسؤولية حقيقية تجاه الأزمة السورية، وتحفظت على قرار ترامب حول الانسحاب، وبيّنت خطأ القرار، وأفادت أن الدول الأوربية المعنية إن كانت تريد أن تنشئ منطقة آمنة في سوريا فهي مضطرة إلى الاستعانة بالقوات الأمريكية. وذكر مكتب وزارة خارجية المملكة المتحدة في بيان له أن داعش رغم أنه فقد سيطرته على الأرض لكنه لا يزال يشكل تهديدًا مهمًّا، وأن المملكة المتحدة ستواصل مهامّها ضمن التحالف ضد داعش.[31]

تحافظ روسيا على نفوذها في سوريا منذ الحرب الباردة، ولا توجد دولة عربية أخرى ترتبط مع روسيا بهذا القدر من العلاقات المتناغمة والطويلة الأمد، إضافة إلى أن القاعدة الموجودة في طرطوس السورية منذ عام 1971 هي القاعدة العسكرية الروسية الوحيدة في البحر المتوسط

ويمكن القول إن أشد الانتقادات الموجهة من الدول الأوربية إلى القرار الأمريكي بالانسحاب صدرت من فرنسا. فقد ادّعى وزير الدفاع الفرنسي فلورنس بارلي أن تنظيم داعش لم يُهزَم بعد، وأن الحرب على داعش يجب أن تستمر. كما أعلنت وزيرة العلاقات الأوربية الفرنسية ناتالي لويسو أن القوات الفرنسية ستبقى في سوريا، وأن الحرب على داعش مستمرة.[32] لكن هذه التصريحات ذات النبرة العالية انخفضت ثم تلاشت بعد أن تبين أن الولايات المتحدة مصمّمة على الانسحاب.

بينما ألمانيا التي يمكنها -بوصفها قوة دافعة للاتحاد الأوروبي- أن توقّع على القرارات الملزمة للاتحاد الأوربي، ورغم عدم وجود قوة لها في سوريا، فقد أشارت إلى أن القرار الأمريكي بالانسحاب قرار خاطئ، حيث بين وزير الخارجية الألماني هايكو ماس أن القرار الأمريكي بالانسحاب محفوف بالمخاطر، وأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد حساباتها من أجل منع وقوع أزمة إنسانية جديدة، ولمسألتي حماية المدنيين في شمال شرقي سوريا واستقرار تلك المنطقة.[33]

إذا نظرنا إلى الصورة العامة فإن الدول الأوربية التي صرحت في البداية بأنها باقية في سوريا بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية قرارها بالانسحاب منها- عادت لتذكّر بأنها لن

تبقى في الميدان في خطة تغيب عنها الولايات المتحدة الأمريكية.[34] ومع ذلك لم يصدر من دول الاتحاد الأوربي أي بيان مشترك حول مسألتي الانسحاب والمنطقة الآمنة رغم ثبات موقف ترامب منها. ويُعتقَد أن على الدول الأوربية أن تعتمد موقفًا مشتركًا من أجل مراجعة قرار الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب كما صرّح بذلك وزير الخارجية الدانماركي أندرس ساموبلسن.[35] فإذا سمحت البلدان الأوربية بظهور الأصوات الشاذة بينها فإنها ستخسر نفوذها –الضعيف في الأصل– في الساحة السورية.

وجهة نظر إيران حول المنطقة الآمنة:

رغم الخسائر المادية والبشرية التي تحمّلتها إيران في الحرب السورية، فإن الحرب بالنسبة لإيران شكّلت حركة للإحاطة بالمملكة العربية السعودية وإسرائيل من الشمال من خلال السيطرة على خط (حزب الله) الواصل بين إيران والعراق وسوريا ولبنان. فمن خلال المشاركة المباشرة أحيانًا أو بالوكالة أحيانًا أخرى في الحرب في جبهات سوريا واليمن أنشأت إيران خط دفاعها المتقدّم من ناحية، وعزّزت دورها المدافع عن العقيدة الشيعية في الشرق الأوسط من ناحية أخرى. وبفضل دور إيران القيادي للعالم الشيعي يمكنها أن تضمّ أعدادًا كبيرة من أفراد الشيعة إلى حروبها من داخل البلاد ومن خارجها. ومن أجل المحافظة على هذه المكاسب أقامت إيران في سوريا تحصينات محكمة، وكانت أكثر المدافعين عن النظام السوري أهمية على الأرض.[36] تشير الادعاءات إلى أن أعداد المقاتلين تحت الرعاية الإيرانية في سوريا تجاوز 80 ألف مقاتل، من ضمنهم عناصر ميليشيات حزب الله المدعومة من إيران، والحرس الثوري الإيراني، والميليشيات الشيعية التي أتت من باكستان وأفغانستان والعراق.[37] يبدو هذا الرقم مبالغًا فيه بالنسبة للبعض، غير أن العدد يبلغ عشرات الآلاف على أقل تقدير. تشير الادعاءات بأن عدد المسلحين الذي أتوا من خارج سوريا وقُتِلوا فيها بلغ حتى اليوم 8000 مقاتل من بينهم 1665 مقاتلًا من حزب الله. وفقًا للمصادر الإسرائيلية، وبلغ عدد قتلى العسكريين الإيرانيين 113 عسكريًّا قُتِلوا في الغارات الإسرائيلية خلال شهر واحد من منتصف شهر آب عام 2018.[38] رغم كل هذه الضربات الجوية الإسرائيلية فإن إيران لم تستهدف إسرائيل بشكل مباشر بعد، بل حاولت تحصين معسكراتها في سوريا بدون تصعيد الأزمة مع إسرائيل، وتجنبت بهذا الشكل منع التدخل الأمريكي المحتمل.

من الواضح جليًّا أن تعارض إيران فكرة إنشاء المنطقة الآمنة في سوريا تحت السيطرة الأمريكية التركية، وهي التي حققت هذا القدر من الاستثمارات وتحمّلت أعباءً مالية كبيرة في سوريا. ومع ذلك، ربما تمرّ إيران في فترة هي بأمس الحاجة فيها إلى تركيا. ففي هذه الفترة الحرجة، حيث تعاني إيران الحصار الاقتصادي الشديد المفروض من الولايات المتحدة، ناهيك عن التهديد الذي يشكّله التحالف السعودي الإسرائيلي ضدها– يمكن لإيران أن تحاول إيجاد مسار مشترك مع تركيا. وإذا تحقق الانسحاب الأمريكي من سوريا في النهاية وأُقيمت المنطقة الآمنة تحت سيطرة وحماية تركيا، فلن يكون هذا أسوأ الخيارات الموجودة بالنسبة لإيران. إن

قيام تركيا بهذا الدور في سوريا هو السيناريو الذي يمكن أن تفضّله إيران على سيناريو وجود قوى تابعة لدول مثل الولايات المتحدة والسعودية وإسرائيل في سوريا. بقي القول إن هناك تنسيقًا ظاهرًا بين تركيا وإيران في الصراع ضد PKK داخل الحدود العراقية، كما أن هناك اتفاقًا بين تركيا وإيران حول سوريا في موضوع إنهاء الحرب والبحث عن الحلول في إطار مبدأ وحدة الأراضي السورية. على الرغم من هذه الأجواء الإيجابية، يشكل PKK وفرعه PYD الممتد في سوريا ورقة محتملة بالنسبة لإيران يمكن استخدامها من أجل تدهور العلاقات مع تركيا.

باختصار، يعاني الوجود الإيراني في سوريا حصارًا شديدًا نتيجة عوامل مختلفة، مثل تعرضها للهجمات الإسرائيلية المتزايدة والمتكررة في سوريا، والحصار الاقتصادي المفروض عليها، وبينما تريد أن تؤدّي دورًا فعّالًا في إعادة إنشاء سوريا فإنها تبتعد عن القدرة المطلوبة لتحقيق ذلك باطّراد. وبالنظر إلى أن روسيا ستكون في مواجهة دول مثل الولايات المتحدة وإسرائيل في المعادلة السورية التي تضم إيران أيضًا، فهي تقوم بتفصيل الدور الإيراني في مستقبل سوريا بشكل محدود.[39] في ضوء هذه المعطيات، من غير المحتمل أن تكون إيران ضمن مخطط إنشاء المنطقة الآمنة في شرق الفرات، ولأن هذه المنطقة ستكون تحت السيطرة التركية فيمكن أن يكون هو السيناريو المقبول لدى إيران بين الخيارات الموجودة.

وجهة نظر إسرائيل حول المنطقة الآمنة:

أدلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ببيان عقب إعلان القرار الأمريكي بالانسحاب أشار فيه أن القرار مبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية. وتطرق فيه نتنياهو إلى أهمية سوريا بالنسبة لأمن (إسرائيل)، مشيرًا إلى أن (إسرائيل) ستستمر في نشاطاتها الفعالة في الساحة السورية من أجل حماية أمنها بنفسها.[40] وقد بدأت الهجمات الإسرائيلية على الوجود الإيراني في سوريا بالغارة التي استهدفت قافلة يقال إنها كانت تحمل أسلحة إلى حزب الله في عام 2013. وتقوم (إسرائيل)منذ عام 2017 وخلال مدة تزيد عن سنتين باستهداف القواعد الإيرانية في سوريا بشكل مباشر. وقد ذكر قائد هيئة الأركان الإسرائيلية غادي أيزنكوت بأن إسرائيل ستقدّم الأسلحة الخفيفة لبعض المجموعات المسلحة في سوريا إلى جانب استمرارها في القيام بالعمليات العسكرية.[41]

لا تتردد إسرائيل في اتخاذ خطوات يمكن أن تؤدّي إلى حرب مباشرة مع إيران في سوريا، وتواجه بين الحين والآخر أزمات خطيرة مع روسيا في هذا البلد، وهي تواصل في إرسال رسائل قوية بأنها ستستمر في القيام بمبادراتها الخاصة لتوفير أمنها خارج حدودها. لكن ينبغي التذكير بأن (إسرائيل) تقدم على تنفيذ هذه الهجمات وعلى تصرفاتها الجريئة اعتمادًا على الثقة القائمة على العلاقات الخاصة التي طورتها مع إدارة ترامب. إن الانسحاب الكامل لترامب من الساحة السورية سيجعل من الصعب على إسرائيل الحفاظ على جرأتها التي تشكّل خطرًا حتى على روسيا. لهذه الأسباب من الطبيعي أن تفضّل إسرائيل استمرار الوجود الأمريكي

في سـوريا. ويمكن القول إن المنطقة الآمنة المزمع إنشـاؤها في الحدود التركية لا تشكل أولوية إسرائيل. ولا يبدو أن إسرائيل ستقدم على خطوات من شأنها تحديد شأن المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها في الحدود التركية. وجميع القضايا خارج الأنشطة الإيرانية في سوريا تُعدّ قضايا ثانوية بالنسـبة لإسرائيل، وسـيطرة طرف آخـر غير إيران عـلى المنطقة الآمنة المذكـورة تجعل المنطقة خارج أولويات إسرائيل الخطرة.

رغم الخسائر المادية والبشرية التي تحمّلتها إيران في الحرب السورية، فإن الحرب بالنسبة لإيـران شكّلـت حركة للإحاطـة بالمملكة العربيـة السعودية وإسرائيل من الشمال من خلال السيطرة على خط (حزب الله) الواصل بين إيران والعراق وسوريا ولبنان

وجهة نظر السعودية حول المنطقة الآمنة:

كان للمملكـة العربيـة السـعودية دور في مناقشـات المنطقـة الآمنـة، حيـث كان السـيناريو المموّل مـن قبل المملكة العربية السـعودية من بين السيناريوهات البديلة المطروحة من وقت لآخر.[42] يشكل سيناريو الحفاظ على الوضع الراهن في سـوريا من أكثر السيناريوهات مثالية بالنسـبة للمملكـة العربية السـعودية، أي بقاء الولايات المتحدة في سـوريا، وتقييد الدور الإيراني، والاصطفاف إلى جانـب PYD في مواجهـة تركيـا. ففي هـذا الوضع الراهـن تقيّد الولايـات المتحدة إيران وتصطفّ إلى جانب المملكة العربية السعودية في مواجهة المنظمات المشابهة للإخوان المسلمين. وبينـما تواصـل الولايات المتحـدة الأمريكية وحدهـا مهمّة تقييـد إيران داخل سـوريا، ومنع المنظمات الشـبيهة بجماعة الإخوان المسـلمين من الحصول على قواعد لها فيها، يمكن أن تتركز جهود المملكة العربية السعودية على بناء محمد بن سلمان السلطة في البلاد.[43]

عـلى الرغـم مـن أن المملكـة العربية السـعودية قلقة من الفراغ الناشـئ في سـوريا في حال انسـحاب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة منهـا، إلا أنهـا تفتقـر إلى الإرادة والقـدرة على اتخاذ خطوات ملموسة لسدّ هذا الفراغ. ومن غير الممكن أن تفتح على نفسها جبهة ثانية بعد اليمن من أجل مواجهة التوسع الإيراني، ولاسيما في مكان بعيد عن حدودها في الحدود التركية، وفي فترة العلاقات السـيئة مع تركيا. لهذا السـبب لم يكن للمملكة العربية السعودية صوت عالٍ في مسـألة إنشـاء المنطقة الآمنة، ونهجت سياسـة 'انتظر لترى، وهي تأمل في أن تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن قرار الانسحاب.

وقد أعربت السـعودية عن اعتراضها على الانسحاب من خلال الصحافة السعودية، بدل التعبـير عنه عبر تصريحات السياسـيين مبـاشرة. فقد انتقدت الصحافة السـعودية قرار ترامب بالانسـحاب من سوريا بعد الإعلان عنه في تاريخ 19 كانون الأول عام 2018. فقد زعمت صحيفـة الـشرق الأوسـط الصادرة من لندن أن قرار الانسـحاب يشـكّل مصدر شـبهة، وأن مفاوضات سرية جرت بين تركيا وروسيا قد تكون وراء هذا القرار، وذكرت قناة "العربية" أن الانسحاب إن تحقق فسيكون بمثابة نصر لإيران. بالمقابل كانت المصادر الأخرى مثل صحيفة

"عكاظ" أكثر تفاؤلًا بالنسبة للسعودية، إذ أسندت سبب الانسحاب إلى احتمال أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية تعدّ العدة لتوجيه عملية عسكرية ضد إيران.[44]

وجهة نظر تركيا حول المنطقة الآمنة:

ترسم تركيا سياستها حيال سوريا مراعية ثلاث أولويات، هي: الحفاظ على وحدة الأراضي السورية، وإنهاء الحرب والقضاء على المنظمات الإرهابية، وبناء النظام في سوريا إبان الحرب بحيث يكون نظامًا احتوائيًّا. وفي حال توفر هذه الشروط سيتم التخلص من المشكلات التي تهدد أمن تركيا من الجانب السوري. وتقول تركيا إن شركاءها الغربيين في التحالف ضد داعش لا يشاركونها هذه الأولويات، ويتّخذون خطوات من شأنها أن تضر بوحدة الأراضي السورية من خلال العلاقات التي يطورونها مع التنظيمات الإرهابية، ومع تنظيم PYD على وجه التحديد. وقد وجه رئيس الجمهورية أردوغان هذه الانتقادات لشركاء التحالف مرارًا، وعبّر عنها أحيانًا بلهجة حادة جدًّا.[45] لهذا السبب، رفضت تركيا بقوة الخطة التي اقترحها مستشار الأمن الأمريكي جون بولتون في صيف 2018 من أجل المنطقة الآمنة، التي تنص على أن يُضَمّ تنظيم PYD إلى إدارة المنطقة ورقابتها. تركيا تؤكد أنها ستبني بمفردها المنطقة الآمنة، ففي مؤتمر الدفاع في ميونيخ قال وزير الدفاع التركي خلوصي أكار: إن التحالف الدولي سيبقى عاجزًا عن بناء منطقة آمنة بطول 440 كيلومترًا، وتطرق إلى ضرورة تمركز القوات التركية دون غيرها في هذه المنطقة الآمنة.[46] وقد أعلنت تركيا بلسان رئيس الجمهورية أردوغان أنها ستبني المنطقة الآمنة، سواء حصلت على الدعم الأمريكي أو لم تحصل.[47]

وفي مقال منشور في صحيفة نيويورك تايمز قال الرئيس أردوغان إن تركيا لديها الإرادة والقدرة على ملء الفراغ الذي سينشأ عن انسحاب الولايات المتحدة،[48] وإن تركيا التي ستأخذ مكان الولايات المتحدة في شرق الفرات لديها ما يكفي من الخبرة لأجل ذلك، مشدّدًا على محاربة الإرهاب. وفي الإستراتيجية التي اقترحها، لم يتطرق أردوغان إلى الكفاح المسلّح فحسب، بل تطرق أيضًا إلى مكافحة التحوّل الراديكالي، وبيّن أنه لأجل ذلك ستبني تركيا نظامًا مستقرًّا يشارك فيه جميع المجتمعات المحلية.

لكن المزاعم التي طرحتها الولايات المتحدة في شهر تموز المنصرم بقيت بعيدةً عن توقعات تركيا فيما يتعلق بالمنطقة الآمنة. وامتعضت تركيا من الأخبار المتسربة وبعض التصريحات التي تتحدث عن عمق بمقدار 5 إلى 14 كيلومترًا. وفي بيانٍ صادرٍ عنها يوم 7 آب في أعقاب المحادثات مع الوفودً الأمريكية المدنية والعسكرية والمفاوضات الجارية مع الولايات المتحدة بشأن المنطقة الآمنة، أكدت وزارة الدفاع الوطني أن الجانبين اتفقا على النقاط الثلاث الآتية:

1. الإسراع في تطبيق التدابير التي ستُتَّخَذ في المرحلة الأولى، التي من شأنها أن تزيل المخاوف الأمنية لدى تركيا.

2. إنشاء "مركز العمليات المشتركة" الذي سيؤمّن التنسيق مع الولايات المتحدة في تركيا.

3. اتخاذ التدابير لتحويل المنطقة الآمنة إلى ممرّ سلامٍ يمكن أن يعود إليه اللاجئون السوريون.

وفي 24 آب المنصرم قدّم وزير الدفاع خلوصي أكار تصريحات قال فيها: إن "مركز العمليات المشتركة" بدأ فعالياته بكامل طاقته، وأعلن عن بدء التطبيقات الميدانية ذات الصلة بالمرحلة الأولى من بناء المنطقة الآمنة.

وهكذا ترى تركيا أنّها الدولة الوحيدة التي تستطيع إقامة المنطقة الآمنة والحفاظ عليها بدون إثارة حفيظة أي من الولايات المتحدة وروسيا. فهذه المنطقة الآمنة بحسب رأيها تستبعد التنظيمات الإرهابية مثل داعش وتنظيم PYD، وتفتح الطريق للمشاركة المحلية. فقد اضطر اللاعبون السياسيون المحليون إلى مغادرة سوريا إلى الخارج أو النزول تحت الأرض بسبب قيام تنظيم PYD بالقضاء على القنوات البديلة، ولكن تركيا تشير إلى إمكانية فتح قنوات المشاركة البديلة هذه مرة أخرى. وهناك هدف آخر تريد تركيا تحقيقه من وراء بناء المنطقة الآمنة، هو تحويل المنطقة إلى منطقة قابلة للعيش من خلال توفير خدمات الأمن والصحة والمأوى والتعليم، والحدّ من الهجرة إلى خارج سوريا، وتوفير بيئة يعود إليها اللاجئون السوريون.

والعمق الذي ستبلغه هذه المنطقة بحيث يكون كافيًا لضمان أمنها مهمٌّ بمقدار أهمية الجهة التي ستتكفل بمراقبة المنطقة الآمنة في نظر تركيا، فمن الصعب جدًّا السيطرة على منطقة آمنة تشمل الطريق البري M4 الذي يُعدّ أهم طريق بري يعبر من غرب سوريا إلى شرقها، علمًا أنّ هذا الطريق البري هو بمثابة مفتاح من أجل السيطرة على شمال سوريا، ويجب السيطرة عليه

لتصفية عناصر حزب الاتحاد الديمقراطي.[49] تشمل المنطقة الآمنة التي يبلغ طولها 32 كم كما هو مقترَحٌ حاليًا الطريق البري M4 ومناطق مهمّة، مثل عين العرب وتل أبيض والقامشلي ورأس العين، ولها عمق كاف للسيطرة على المنطقة. وبعد ضمّ هذه الطرق والمناطق إلى المنطقة الآمنة لن تتمكن قوات قسد التي لا تحتوي بالفعل على عناصر أخرى كبيرة غير عناصر تنظيم PYD من الصمود كثيرًا في المناطق الجنوبية من البلاد. أما تركيا فيمكنها أن تتحرك مع عناصر قوات قسد من دون عناصرها من تنظيم PYD، وتتحكم بها، فتساعد بذلك في تحويل شرق الفرات إلى منطقة مستقرة خالية من الإرهاب. بعبارة أخرى، تخطّط تركيا من جانب لتحقيق الأمن والحفاظ عليه بصورة فعلية في المنطقة الآمنة التي تمتدّ عبر حدودها على بعد 32 كيلومترًا، وتعطي من جانب آخر صورةً بأنها مستعدّة للتعاون من أجل تطبيع الحياة في المناطق الجنوبية والحيلولة دون انتشار التنظيمات الإرهابية في المناطق التي جرى إنقاذها حديثًا.

الخاتمة:

تناول هذا المقال موضوع المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها في سوريا إبّان إعلان أمريكا انسحابها، فالبحث يركز على المنطقة الآمنة المتوقع بناؤها على طول الحدود التركية، من دون الخوض في النقاشات الدائرة حول المناطق الآمنة المختلفة التي جرى التخطيط سابقًا لإنشائها في أثناء الحرب السورية ابتداءً من الحدود الأردنية وانتهاء بمناطق الصراع المختلفة ضمن سوريا.

ولا يزال الغموض حول المنطقة الآمنة مستمرًّا في وقت لم تستكمل فيه أمريكا سحب قواتها من سوريا. وقد جرى في هذا المقال تقييم السيناريوهات المحتَمَلة بناءً على بيانات ذات صلة بالمنطقة الآمنة. من جانب آخر، تتناقض مصالح ومواقف اللاعبين العالميين والإقليميين فيما يتعلق بالمنطقة الآمنة، وقد تناول البحث مواقف اللاعبين العالميين، مثل الولايات المتحدة وروسيا والدول الأوربية، ومواقف اللاعبين الإقليميين، مثل إيران و(إسرائيل) والسعودية حيال المنطقة الآمنة. واختُتِم البحث بالمطالب والوعود التي قدمتها تركيا التي هي المدافع الأكثر إصرارًا وثباتًا في موضوع المنطقة الآمنة في سوريا إلى اليوم.

باختصار، خلصت الولايات المتحدة إلى أن البقاء في سوريا ليس خيارًا منطقيًّا من أجل إستراتيجيتها في تطويق إيران وصدّها، وتوصّلت إلى قناعة بضرورة استمرار هذه الإستراتيجية من خلال قواعدها العسكرية في العراق، ودعمها بالحصار الاقتصادي. ومع ذلك، لا يزال هناك تباين في الآراء داخل الإدارة الأمريكية، سواء فيما يتعلق بجدول الانسحاب، أو نطاق المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها والشراكات وعلاقات التعاون التي سيجري بناؤها لهذا الغرض.

رحبت روسيا بالانسحاب الأمريكي من سوريا، إلا أنّها أشارت في ذات الوقت إلى أنها تنوي اتخاذ موقف حذر حتى اكتمال الانسحاب. وأبدت روسيا التي ترى بأن تبقى المنطقة

تحت سيطرة نظام الأسد؛ تفهمًا للمخاوف التركية من PYD، ولا ترى حرجًا في أن تشمل المفاوضات سيناريو المنطقة الآمنة التي ستكون تحت سيطرة تركيا.

أما بالنسبة للدول الأوربية، فعلى الرغم من أنها لم تؤدِّ إلى اليوم دورًا كافيًا في الحرب السورية، ولم تسهم في حل المشكلة فإنها تحاول أن تكون مؤثرة على مستوى الخطاب. ونذكر من بين تلك الدول ألمانيا، إضافة إلى إنكلترا وفرنسا اللتين لهما عناصر عسكرية في سوريا. فالدول الأوربية التي ليس لها تأثير يُذكَر في الساحة متفقةٌ على أنها مجبَرةٌ على التعاون فيما بينها لتكون مؤثرةً، وتسعى جاهدة لإنشاء لغة مشتركة بشأن المنطقة الآمنة. وقد تحوّل خطاب هذه الدول في الشهرين الماضيين خلال نقاشات المنطقة الآمنة من خطاب يقول إن أمريكا ستبقى في سوريا بعد الانسحاب إلى خطاب أكثر حذرًا، ويعمل على تراجع أمريكا ولو جزئيًّا عن قرارها بالانسحاب من سوريا.

ترسم تركيا سياستها حيال سوريا مراعية ثلاث أولويات، هي الحفاظ على وحدة الأراضي السورية وإنهاء الحرب والقضاء على المنظمات الإرهابية، وبناء النظام في سوريا إبان الحرب بحيث يكون نظامًا احتوائيًا

أما إيران التي هي واحدة من الجهات الفاعلة الإقليمية، فقد دفعت إلى اليوم ثمنًا باهظًا في سوريا، سواء من خلال الكلفة الاقتصادية أم من خلال الجنود والميليشيات الذين خسرتهم في المعارك. وإيران التي تريد أن تحصل على بدل هذه الكلفة بعيدةٌ عن أن تصبح لاعبًا محدِّدًا في موضوع المنطقة الآمنة؛ نتيجة لاقتصادها الذي يتدهور تدريجيًّا بسبب العقوبات الأمريكية، والهجمات الجوية الإسرائيلية التي تتعرض لها في سوريا، والأثر المنهك للحرب بالوكالة المستمرة مع السعودية في اليمن، وإدراكها حدود الدعم الذي يمكن أنَ تتلقاه من روسيا في سوريا. ومن هنا فإنه من المحتمَل –ضمن هذه الظروف– أن تختار إيران بقاء المنطقة الآمنة تحت مراقبة تركيا على بقائها تحت مراقبة الولايات المتحدة أو السعودية.

و(إسرائيل) التي هي جهة فاعلة إقليمية أخرى تفتقر إلى الإرادة والقدرة على أن تصبح لاعبًا محدِّدًا وحاسمًا فيما يتعلق بموضوع المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها بعيدًا عن حدودها؛ لأن أولويتها هي صدّ إيران في سوريا. علاوة على ذلك، فإن إسرائيل تدرك أن مجال تحركها في سوريا سوف يتقلص إلى حدّ كبير بدون الوجود الأمريكي في سوريا؛ لأنها كانت تنفذ العمليات التي قامت بها إلى اليوم في سوريا مستمدة الجرأة من اعتقادها بالوجود الأمريكي الدائم في سوريا.

السعودية أيضًا أولويتها مثل أولوية (إسرائيل) تتجلى في انتزاع سوريا من النفوذ الإيراني، وهناك مسألة تقلق السعودية بقدر ما تقلق إيران، وهي إمكانية أن يكون النفوذ من نصيب تنظيم أشبه بجماعة الإخوان المسلمين التي في مصر. وتعتقد الرياض أن اكتساب هذا النوع من التنظيم نفوذًا لن يكون إلا بدعم تركي، فلا ترى أن تملأ تركيا الفراغ في سوريا بعد انسحاب الولايات المتحدة من سوريا، ومع ذلك ليس لديها الكثير لتفعله من أجل ذلك. فالسعودية

التي أخفقت في القيام بحملةٍ قاضيةٍ ضد إيران في اليمن لن تستطيع أن تجابه إيران وتركيا عند الحدود التركية. ومع ذلك، هناك احتمالٌ بأن تقدّم السعودية التي لا تبدو أنها ستكون مؤثرة في الساحة؛ الدعم المادي للجهات الفاعلة بالوكالة التي تعدّها مفيدة لمجابهة تركيا وإيران.

أما تركيا فهي الدولة الأكثر ثباتًا ووضوحًا في موقفها من إنشاء المنطقة الآمنة. ويتمثل موقفها هذا في أن تُصمَّم المنطقة الآمنة بشكلٍ يتم فيه اجتثاث التنظيمات الإرهابية، مثل داعش وتنظيم PYD من جذورها، وأن تتولى تركيا مراقبة المنطقة الآمنة. وبناءً على تجربتها في غرب الفرات أثبتت تركيا أنها قادرة على إنشاء المنطقة الآمنة بإمكاناتها العسكرية والبشرية. والنقطة الأخرى التي تجعل تركيا متميزة عن غيرها هي امتلاكها نفوذًا ومصداقية في نظر المعارضة السورية من جهة، وقدرتها على التحرك بالتنسيق مع روسيا وأمريكا من جهة أخرى.

وختامًا يمكن القول: إن مشروع المنطقة الآمنة التي ستُصمَّم بحيث تمتد مسافة 32 كيلومترًا من الحدود التركية باتجاه سوريا مشروعٌ ضروريٌّ وقابلٌ للنجاح من أجل أمن تركيا، وتطهير المنطقة الآمنة من العناصر الإرهابية، وإيجادِ حل لمشكلة الهجرة من سوريا من خلال إعادة الحياة إلى مجاريها الطبيعية.

الهوامش والمصادر:

1. https://twitter.com/realdonaldtrump/status/1084584259510304768?lang=en
2. من أجل نقاش قانوني حول موضوعات مثل المنطقة الآمنة والمنطقة العازلة، انظر: قايا (2014)
3. تختلف مناطق خفض التوتر المتشكلة في إطار عملية أستانة (de-escalation zones) عن المنطقة الآمنة المزمع بناؤها في سوريا على طول الحدود التركية، سواء من حيث الموقع أو النطاق، ولهذا السبب يجري تناولها على أنها طليعة المنطقة الآمنة.
4. Gerstein. Josh. 13 June 2013. "W.H.: Assad used chemical weapons." Politico. https://www.politico.com/story/2013/06/syria-chemical-weapons-white-house-092764 .
5. Hafezi. Parisa & Erika Solomon. 14 June 2013. "U.S. considers no-fly zone after Syria crosses nerve gas 'red line'." Reuters. https://www.reuters.com/article/us-syria-crisis/u-s-considers-no-fly-zone-after-syria-crosses-nerve-gas-red-line-idUSBRE95C16L20130614 .
6. Axe. David. 11 October 2013. "For Syrians. a no-fly zone of their own." Reuters. http://blogs.reuters.com/great-debate/2013/10/10/-for-syrians-a-no-fly-zone-of-their-own/
7. وكالة الأناضول، 10 تشرين الأول 2012، "البيروقراط ينبغي أن يعمل عمله"، https://www.aa.com.tr/tr/politika/burokrat-kendi-isini-yapmali/328213
8. حرِّيَّت، 1 أيلول 2012، "النصّ الكامل لكلمة رئيس الوزراء أردوغان"، http://www.hurriyet.com.tr/gundem/basbakan-erdoganin-konusmasinin-tam-metni-21357701
9. فرات، خاندا، 15 كانون الثاني 2019، "شرط أنقرة لأجل المنطقة الآمنة"، حرِّيَّت، http://www.hurriyet.com.tr/yazarlar/hande-firat/guvenli-bolgeye-ankaranin-sarti-41083066

10. Hurriyet Daily News. "Turkey outlines locations for potential safe zone in Syria." 16 October 2014. http://www.hurriyetdailynews.com/turkey-outlines-locations-for-potential-safe-zone-in-syria-73054.

11. فكرت بيلا. 2 تشرين الثاني 2014. "المنطقة الآمنة يجب أن توازي الخط 36". ملّيّت. http://www.milliyet.com.tr/36-paralelin-ustu-guvenli-bolge/siyaset/ydetay/1963625/default.htm

12. Barnard. Anne. Mchael R. Gordon ve Eric Schmitt. 27 July 2015. "Turkey and U.S. Plan to Create Syria 'Safe Zone' Free of ISIS." The New York Times. https://www.nytimes.com/2015/07/28/world/middleeast/turkey-and-us-agree-on-plan-to-clear-isis-from-strip-of-northern-syria.html?_r=0.

13. أسفرت عملية الفرات التي انطلقت في 24 آب 2016 عن تطهير جرابلس والباب وإعزاز من داعش. وأسفرت عملية غصن الزيتون التي بدأت في 20 كانون الثاني 2018 عن تطهير عفرين وما حولها من عناصر PYD.

14. https://twitter.com/realdonaldtrump/status/1084584259510304768

15. Gould. Joe. 5 February 2019. "CENTCOM chief says Trump did not consult him on Syria withdrawal declaration." Defense News. https://www.defensenews.com/congress/2019/02/05/centcom-chief-says-trump-did-not-consult-him-on-syria-withdrawal-declaration/.

16. Masi. Alessandria. 3 March 2017. "Fragmentation could threaten safe zone plans: Syrian military expert." News Deeply. https://www.newsdeeply.com/syria/community/2017/03/03/fragmentation-could-threaten-safe-zone-plans-syrian-military-expert.

17. Stewart. Phil. 15 February 2019. "CENTCOM commander Gen. Votel recommends arming. aiding Syrian fighters after pullout." Reuters. https://taskandpurpose.com/centcom-commander-gen-votel-recommends-arming-aiding-syrian-fighters-after-pullout

18. Burns. Nicholas ve James F. Jeffrey. 4 February 2016. "The diplomatic case for America to create a safe zone in Syria." The Washington Post. https://www.washingtonpost.com/opinions/the-diplomatic-case-for-america-to-create-a-safe-zone-in-syria/2016/02/04/5bd02e15b104-11e5-f3c7c820-caa9-88ff-e2d1b4289c2f_story.html?utm_term=.

19. Jeffrey. James F. 19 February 2016. "Legal Justifications for a Safe Zone in Syria." The Washington Institute. https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/legal-justifications-for-a-safe-zone-in-syria

20. Jeffrey. James F. 19 February 2016. "Legal Justifications for a Safe Zone in Syria." The Washington Institute. https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/legal-justifications-for-a-safe-zone-in-syria

21. Jeffrey. James F. 26 February 2016. "Kerry Neither Rules Out nor Supports Safe Zone Concept." The Washington Institute. https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/kerry-neither-rules-out-nor-supports-safe-zone-concept.

22. على صلة بالانسحاب والمنطقة الآمنة تشهد هذه الأيام تصريحات بإمكانية بقاء حوالي 200 جندي أمريكي في سوريا.

23. Sputnik News. 4 December 2018. "'Let's Pull the Plug on Astana': US Sets Deadline on Syrian Committee Summoning." https://sputniknews.com/us/201812041070364134-usa-syria-astana-format-talks-committee-deadline/.

24. من أجل تقرير شامل حول PYD، انظر: Acun وKeskin، (2017).

25. Look at Alaaldin. Ranj. 21 December 2018. "What the U.S. withdrawal from Syria means for ISIS. Iran. and Kurdish allies." Brookings. https://www.brookings.edu/what-the-u-s-withdrawal-from-syria-means-for-isis-iran-and-kurdish-allies/.

26. McElroy. Damien ve Jon Swaine. 15 June 2013. "Russia says Syrian no-fly zone would be illegal." The Telefraph. https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/10122374/Russia-says-Syrian-no-fly-zone-would-be-illegal.html

27. The Moscow Times. 14 February 2019. "Russia to Turkey: You Can't Have Syrian Safe Zone Without Assad's Consent." https://www.themoscowtimes.com/2019/02/14/russia-to-turkey-you-cant-have-syrian-safe-zone-without-assads-consent-a64495

28. للاطلاع على مكانة اتفاقية أضنة بالنسبة لنقاشات المنطقة الآمنة، انظر: قورت، فيصل، 25 كانون الثاني 2019، "معادلة المنطقة الآمنة واتفاقية أضنة"، Fikriyat, https://www.setav.org/guvenli-bolge-denklemi-ve-adana-mutabakati/

29. Zaretsky. Robert. 21 December 2018. "France's Existential Loneliness in Syria." Foreign Policy. https://foreignpolicy.com/2018/12/21/frances-existential-loneliness-in-syria/.

30. Sky News. 12 March 2016. "IS Battle: More UK Troops To Train Iraqi Forces." https://news.sky.com/story/is-battle-more-uk-troops-to-train-iraqi-forces-10201686

31. AlJazeera. 20 December 2018. "Syria: World reacts to Trump's decision to pull US troops out." https://www.aljazeera.com/news/2018/12/syria-world-reacts-trump-decision-pull-troops-181220092240234.html

32. AlJazeera. 20 December 2018. "Syria: World reacts to Trump's decision to pull US troops out." https://www.aljazeera.com/news/2018/12/syria-world-reacts-trump-decision-pull-troops-181220092240234.html

33. Rettman. Andrew. 21 December 2018. "US allies in dismay at Trump's Syria pull-out." EU Observer. https://euobserver.com/foreign/143784.

34. DeYoung. Karen & Missy Ryan. 20 February 2019. "Allies decline request to stay in Syria after US troops withdraw." The Washington Post. https://www.washingtonpost.com/world/national-security/allies-say-they-wont-remain-in-syria-after-us-troops-withdraw/2019/02/20/3532-62e5-11e9-a400-e481bf264fdc_story.html?utm_term=.2ef62af8d307

35. Rettman. Andrew. 21 December 2018. "US allies in dismay at Trump's Syria pull-out." EU Observer. https://euobserver.com/foreign/143784.

36. تؤدّي روسيا دورًا أكثر فعالية من حيث الدفاع الجوي والغارات الجوية.

37. Frantzman. Seth J. 28 April 2018. "Who are Iran's 80.000 Shi'ite Fighters in Syria?" The Jerusalem Post. https://www.jpost.com/Middle-East/Who-are-Irans-80000-

Shiite-fighters-in-Syria-552940

38. Khury. John. 17 September 2018. “Israeli Strikes on Syria Killed 113 Iranian Soldiers Over Past Month. Syrian Observatory for Human Rights Reports.” Haaretz. https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-israeli-strikes-on-syria-killed-113-iranian-soldiers-1.6489386

39. من أجل الدور الذي تريد أن تؤدّيه إيران في مستقبل سوريا ومنعها من ممارسة هذا الدور من قبل روسيا، انظر: عبد المجيد (2019).

40. AlJazeera. 20 December 2018. “Syria: World reacts to Trump's decision to pull US troops out.” https://www.aljazeera.com/news/2018/12/-syria-world-reacts-trump-decision-pull-troops-181220092240234.html

41. Soldatkin. Vladimir & Andrew Osborn. 14 February2019. “Kremlin. after summit. says no offensive planned in Syria's Idlib.” Reuters. https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-russia-turkey-iran/russia-to-turkey-you-cant-have-syrian-safe-zone-without-assads-consent-idUSKCN1Q31JC .

42. Masi. Alessandria. 3 March 2017. “Fragmentation could threaten safe zone plans: Syrian military expert.” News Deeply. https://www.newsdeeply.com/syria/community/2017/03/03/fragmentation-could-threaten-safe-zone-plans-syrian-military-expert .

43. عبد الله أربوغا، 27 تشرين الأول 2018، "كودات السياسة السعودية: نظام جديد ولعبة قديمة"، Star، https://www.setav.org/suud-siyasetinin-kodlari-yeni-duzen-eski-oyun/

44. من أجل ملخص الصحافة السعودية، انظر: Memri، 27 كانون الأول 2018،
Saudi Journalists Claim U.S. Withdrawal From Syria Serves Iran. Wonder About " The Motives Behind It. https://www.memri.org/reports/reactions-in-saudi-press-to-pullout-of-us-troops-from-syria#_edn1

45. Bilgiç. Taylan. 3 February 2019. “Syria ‘Safe Zone’ Should Be Entrusted to Turkey. /03-02-Erdogan Says.” Bloomberg. https://www.bloomberg.com/news/articles/2019 . syria-safe-zone-should-be-entrusted-to-turkey-erdogan-says .

46. Özer Sarp و15 Cüneyt Karadağ، شباط 2019، "وزير الدفاع الوطني أكار: تركيا يجب أن تكون وحدها في المنطقة الآمنة"، وكالة الأناضول،
https://www.aa.com.tr/tr/turkiye/milli-savunma-bakani-akar-guvenli-bolgede-sadece-turkiye-olmalidir/1393923 .

47. McKay. Holy. 28 January 2018. “Turkey to create 'safe zones' in Syria - with or without US support.” Fox News. https://www.foxnews.com/world/erdogan-insists-safe-zones-in-syria-will-enable-refugee-return-others-express-skepticism .

48. Erdoğan. Recep Tayyip. 7 January 2019. “Erdogan: Trump Is Right on Syria. Turkey /07/01/Can Get the Job Done.” The New York Times. https://www.nytimes.com/2019 opinion/erdogan-turkey-syria.html

49. انظر: حسن بصري يالين، 17 كانون الثاني 2019، "المنطقة الآمنة"، صباح،
guvenli-bolge/17/01/https://www.sabah.com.tr/yazarlar/hasan-basri-yalcin/2019.